أكـــد ان الـــدســـتـــور حـــســـم قـــضـــيـــة كـــركـــوك

رئيس اقليم كردستان: انسحاب القوات الامريكية من العراق يعرّضه لكارثة

طـالـبـنـا الـسـعـوديـة والاردن بـإبلاغ ايـران رفـضـنـا الـتـدخل في الـشـأن الـعـراقي

مثل أعشاش النسور يتربع المقر الرئاسي لاقليم كردستان العراق لكن اللافت أنه يقع أيضاً على طريق الحرير. وما على الراغب بالدخول إلى عقل كردستان وقلبها غير أن يتأمل هذه المفارقة الجامعة لعنفوان البيشمركة المقاتلين الأشداء ونعومة السياسي المدرك لموقعه الجغرافي بين أكثر من قوة إقليمية دأبت على تهميشه ورفض منحه حقوقه القومية وصولا إلى محاولات إلغاء هويته الوطنية.

مصيف صلاح الدين... وهنا كان اللقاء مع مسعود بارازاني رئيس إقليم كردستان ووارث نضالات الملا مصطفى والساعي إلى ترسيخ وطنه على الخارطة الدولية بإصرار ودأب بعد أن تعلم بسرعة الدرس السياسي القائل انه في ضعف كردستان تكمن قوتها .

ببساطة الجبلي الذي ينتظر الضيوف ليأنس بهم وبإحساس لا يخفى بأهمية الدور الذي يلعبه الإقليم في الراهن العراقي استقبلنا كاكا مسعود (كاكا بالكردية تعني الأخ) بمظاهر لا تخفى على عين المراقب النابه تؤكد للزائر أنه في حضرة الرئيس.

مسعود بارزاني

■ كتب/ حازم مبيضين

في بداية اللقاء سألت الرئيس مسعود بارزاني عن التفجيرات الإرهابية الأخيرة في كركوك وهل يمكن النظر اليها باعتبارها رسالة للقيادة الكردية عن مستقبل المدينة فقال (التفجيرات الارهابية تطول مناطق مختلفة من العراق، وهي تستهدف العملية السياسية الديمقراطية برمتها، وتسعى لاستمرار الفوضى واللا استقرار، ومدينة كركوك ليست استثناء، باعتبارها مدينة عراقية كردستانية الهوية مفتوحة امام حركة ونشاط قوى الارهاب.

ما أستطيع التأكيد عليه بثقة، هو اننا قادرون ومستعدون لبسط الأمن والاستقرار في كركوك، كما هو حال جميع مدن الاقليم، اذا ما وضعت في اطار سلطة اقليم كردستان، وتحت حماية حكومتها واجهزتها الامنية).

وسالت السيد بارزاني عن مستقبل كركوك بعد كل هذا الجدل الدائر حولها سواء على الصعيد المحلي او الاقليمي فقال (كركوك مدينة عراقية-كردستانية الهوية، ولا مجال للتنازل او التفاوض حول طابعها التأريخي هذا، وكما اكدنا دائماً، فان الدستور العراقي حسم الجدل حول هذا الأمر الحيوي، في المادة ١٤٠، والتي تتخذ التدابير لتطبيقها سياسياً.

ان الحل الوحيد المقبول يمر عبر تطبيع كامل، تعود فيه كركوك الى ما كانت عليه قبل التهجير والتغيير السكاني الذي طالها، واجراء استفتاء ديمقراطي شعبي لتقرير مصيرها.

ان الاستفتاء هو الفيصل، وما يقرره سكان كركوك عبره سيكون موضع تقديرنا الكامل وسنعمل على تطبيقه ولا خيار آخر مقبولا من جانبنا.

اننا لا نريد لكركوك الا ان تكون مدينة للتعايش والتآخي بين مواطنيها.

ومن يزور مدن اقليم كردستان، سيرى ان كل المكونات المتعايشة في كركوك متآخية تعيش بمحبة ووئام وعلى قدم المساواة).

سألنا رئيس اقليم كردستان عن التظاهرات التي انطلقت مؤخراً في الاقليم للتنديد بما قالت انه حالة فساد مستشرية فقال (ان اية واقعة ملموسة موثقة تقدم لنا، لا مجرد تعريض وتشهير وتلاعب بالاهواء، ستعالج بحزم مستند الى احكام القانون. ومن يتابع صحافتنا ووسائل اعلامنا سيطلع على مقالات واخبار وتقارير لا توفر جهة او مؤسسة او شخصية مهما كان موقعها، دون ان تخشى التعرض للمساءلة او المقاضاة، وهي في احيان كثيرة مجافية للحقيقة والواقع).

ومن يتابع سيرة حياة البارزاني ويعرفه عن قرب يتأكد انه امام شخص يتسم بالاتزان والحكمة في انتقائه لكلماته وحرصه على عرض الحقائق وقد علمته التجارب والحياة ان يضع كل جهة في حجمها الطبيعي دون استهانة او مبالغة ولم يخضع يوماً لأي تهديد أو وعيد بل اعتمد مسار العلاقات السلمية والطيبة والإحترام المتبادل في تلك العلاقات، والمتابع يلاحظ ان شواغل الذات لم تتعال عليه، بل نذر نفسه للحق والحقيقة صادقاً مع الاعداء قبل الاصدقاء، صلبا في دفاعه عن حقوق شعبه وتركنا للسيد بارزاني ان يتحدث على سجيته فاستطرد قائلا إن تاريخ الحركة التحررية الكردية نظيف وإنها لم تلجأ خلال تاريخها لأسلوب غير قانوني، قال (نتحدى الكل، نحن لم نفجر سيارات أو قنابل وحتى إننا لم نهاجم أية سفارة عراقية ولم نقم بأية عملية ضد أحد، حتى أننا كنا نغض النظر عن وحدات الجيش العراقي إذا لم تتحرش بنا، ومع أن الحرب فرضت علينا فإننا احتفظنا بعلاقاتنا التاريخية الأخوية والمحبة ولم نسمح بحدوث أي شرخ).

يروق لمسعود بارزاني ان يستعرض علاقات الكرد بالحكومة المركزية في بغداد ويشدد انه بعد تسلم حزب البعث للحكم عام ٦٨ تغيرت الأمور ليس فقط

بالنسبة لكردستان وإنما بالنسبة للعراق بأكمله، فقد لجأ البعثيون إلى أساليب بعيدة عن القيم وحتى المصلحة، بدأوا بتغيير الهوية القومية وتهجير الكرد الفيليين بحجة أنهم إيرانيون، لجأوا إلى أساليب أضرت بالعراق قبل أن تصيب المستهدفين بها، ولا يكتفي كاكا مسعود بالحديث المجرد .. يستعيد التاريخ القريب قائلا على سبيل المثال إن الكرد توصلوا إلى اتفاق ١١ آذار وكان اتفاقا جيداً بمقاييس ذلك الوقت، كان إنجازا كبيراً، لكن البعثيين لم يلتزموا به، إذ بدأوا بعد إبرامه بعدة أشهر بترحيل الكرد الفيليين بحجة أنهم من أصل إيراني رغم أن بعضهم يعيش في العراق منذ ٤٠٠ سنة، أجدادهم ولدوا هنا، وبعد الحرب العراقية الإيرانية بدأوا بحملة واسعة لاعتقال الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٣٠ وتم تسفير البقية إلى إيران مع حجز كل ممتلكاتهم، ولا يزال مصير ١٢ ألف شاب اعتقلوا آنذاك مجهولا. ومن مجموع خمسة آلاف قرية كردية دمروا ٤٥٠٠ قرية وهجر سكانها إلى معسكرات قسرية في أطراف أربيل وبعضهم إلى وسط وجنوب العراق.

ويعد بارزاني محاولات الكرد للتصالح مع نظام البعث رغم المآسي التي حلت بشعبه على يد ذلك النظام ويستذكر انه (بعد اندلاع الحرب اتصلنا بقيادة البعث وقلنا أنه بسبب اندلاع الحرب بين البلدين فإننا مستعدون لتجميد عملياتنا القتالية والتفاوض والتصالح لكنهم أجابونا بالقول انه لا مصالحة مع الخونة والمجرمين واتهمونا بالحرب ضدهم مع إيران، رغم إننا لم نشترك ورغم أن حربنا مع النظام كانت قبل حربه مع إيران واستمرت بعد ذلك أيضا، ومع ذلك فإننا لم نفوت أي فرصة للسلام، بدءاً من عبدالكريم قاسم وعبد السلام عارف ومع البعثيين.

نقطة التحول الكبرى كانت حين اجتاح صدام الكويت، وكان واضحا أن الأمور تغيرت على المستويين الدولي والإقليمي، واندلعت الانتفاضة الواسعة في الجنوب وكردستان ويضيف بارزاني ان فيلقين من الجيش العراقي استسلما للبيشمرجة ولم يمس واحد منهم بأذى - رغم أنني كنت متخوفا من عمليات انتقامية قد يقوم بها أهالي ضحايا نظام البعث - وقد خيرنا الأسرى بين البقاء معنا أو العودة إلى بغداد أو السفر إلى أي مكان يريدون، يومها يقول رئيس اقليم كردستان (تأكدت من عظمة أبناء الشعب الكردي الذي لم يمس جندياً واحداً بسوء،) عندما جرت المفاوضات مع النظام سافرت أنا ومعي ١٦٣ ضابطاً تتراوح رتبهم بين المقدم والفريق، وقد حاول النظام أكثر من مرة استعادة المناطق التي كنا نسيطر عليها، وفشل في كل هذه المرات بسبب المقاومة العنيفة التي واجهناه بها، وبعد صدور القرار الأممي ٦٨٨ الذي أوقف القتال وبدأت المفاوضات ... سافرت إلى بغداد والتقيت بصدام الذي سألني عن رأيي في حل المشكلة الكردية وقلت له: إننا لا ننسى دورك في اتفاق ١١ آذار، لكنك تعلم جيداً إنني سبحت في بحر من الدماء لأصل إلى هنا، والتقي معك، وهذا بالنسبة لي أصعب من ألف اتفاق، وحتى لو أخذنا الأمر من الناحية الشخصية فانك قتلت ٣٧ فرداً من عائلتي و٨ آلاف من عشيرتي وهناك ١٨٢ ألف مفقود من قوميتي، ومع ذلك اخترت أن أمد يد السلام إليك حرصا مني على مصلحة العراق وعلى مستقبل العلاقة بين العرب والكرد فإذا كنتم استفدتم من تجربتكم فإننا أيضا استفدنا من تجربتنا، لقد حاولتم ابادتنا ومحونا من الوجود وفشلتم، نحن أيضا حاولنا إسقاط نظامكم وفشلنا، لكن النتيجة انه سواء كان الأمر بيني وبينك أو من يأتي بعدنا فإننا نؤكد أن الحل العسكري غير ممكن لهذه المسألة وانه لا بد من الجلوس للسلام رغم كل تضحياتنا، فإذا كنتم مستعدين فنحن كذلك أيضا وإذا لم تكونوا مستعدين للسلام فإننا لم نعد نملك أغلى مما فقدناه، لدينا قضية مقدسة وعادلة لا يمكن أن نساوم عليها.

قال صدام كلاما جميلا، لكننا حين بدأنا التفاوض كنا أمام نفس العقلية الشوفينية، وقد استغربت من مقولتهم لي انه إذا كنت تتصور إننا انهزمنا في الحرب فأنت واهم لأننا لم نكن من طلب وقف إطلاق النار، ولأن الهدف كان إسقاطنا، وأنت ترى إننا ما زلنا نحكم، ولذلك فان أميركا فشلت في هدفها، وحينها تأكدت إن التفاوض لن يجدي مع أناس وطنهم مدمر وجيشهم فلول ويعتقدون أنهم منتصرون، يشدد بارزاني وهو يرتشف الشاي ان هذه الحقائق غير معروفة في الشارع العربي، وانه بعد مجيء الأميركيين والأوروبيين أبلغناهم إننا معهم إذا كانت نيتهم الإتيان ببديل ديمقراطي، أما إذا كان البديل دكتاتورا آخر أورجل دين فان ذلك مرفوض لأن العراق لا يحتمل أيا منهما ، كما ابلغهم رفض الوصاية الإقليمية، وقال لهم (لكن تذكروا دائما إننا لن نسمح باستخدام المسألة الكردية كورقة ضغط، وقد أبلغت حتى صدام بذلك، لكنني أضفت له انه إذا جاءت الفرصة للإتيان بعراق ديمقراطي فإننا سنكون في مقدمة العاملين من اجل ذلك).

الذكريات المؤلمة لا تغير شيئا في ملامح بارزاني الذي واصل بهدوء حديثه الينا عن التاريخ القريب للعراق والدور الكردي في صياغة هذا التاريخ وهو دور يرى بارزاني انه كان ايجابيا بكل المقاييس فيقول ان اجتماعات المعارضة بدأت حين تأكدنا أن النظام في طريقه للسقوط وبعضها عقد هنا في صلاح الدين. وفيها توصلنا إلى نتائج جيدة منها تشكيل دولة مؤقتة البديل الديمقراطي الفدرالية كحل يستفتي عليها الشعب العراقي في دستور جديد وفوجئنا أنه بعد سقوط النظام بفترة قصيرة أصدر مجلس الأمن قراره الذي يعتبر العراق بلدا محتلا وتتحول القوات الموجودة هنا إلى قوات احتلال ثم يأتي إلى العراق هذا الأرعن بريمر ويتصرف بشكل سيىء.

هنا تغير الوضع تماما ومع ذلك بقينا في كردستان على حالنا، ولم نكن جزءا من المشكلة منذ البداية وكنا وسنبقى جزءا من الحل، بسبب عدم وجود حكومة وبسبب الفراغ الأمني وبعقلية بريمر الذي لا يعرف شيئا عن المنطقة، ومع صدور قرار مجلس الأمن توافرت الفرصة ليتحول العراق إلى ملجأ لكل من هب ودب من كل أنحاء العالم فتدفق إليه كل من له مشكلة، وكل من له رغبة بتصفية حساباته مع أميركا، الأخوة السنة وقعوا في خطأ كبير حين تصوروا أن من واجبهم تأمين الملجأ لهؤلاء القادمين لمحاربة الأميركيين لينتقموا من الاحتلال، والأخوة الشيعة كانوا في عجلة من أمرهم ليعوضوا ما لحق بهم من ظلم وإجحاف منذ أكثر من ألف عام. وكلا الطرفين لم يفكرا مثلنا، كنا نحن نفكر كيف نبني البلد، ونتجنب الانتقام والاصطدام مع بعض، وهكذا توفرت الفرصة للارهابيين وللمتطرفين من الشيعة والسنة ليحولوا البلد إلى جهنم، وهذا الصراع الطائفي الذي ترونه يتجذر. وكشف بارزاني لنا ان الاقليم يستقبل يوميا ثلاث أو أربع جثث لمواطنين كرد يقتلون في الموصل وكركوك على يد بقايا النظام والتكفيريين لكننا لم نسمح لأنفسنا أن نستدرج إلى الانتقام.

حاولنا منذ البداية مع الأخوة في التنظيمات السياسية أن نعمل على إنقاذ البلد مدركين إن هذه مهمتنا كعراقيين ومعلوم أن انسحاب الكرد اليوم من الحكومة والبرلمان سيؤدي إلى تفكك البلد، من يتهموننا بأننا انفصاليون عليهم أن يدركوا أن انسحابنا من بغداد وعودتنا إلى أربيل سيؤديان إلى اضمحلال الحكومة والبرلمان.

وكشف بارزاني ايضا عن اقتراح تقدم به الكرد قبل ٣ أو ٤ أشهر وهو يقضي بتشكيل جبهة جديدة من القوى الوطنية المعتدلة سواء كانت إسلامية أو غير ذلك والتخلص من الأدوات التي تنفذ أجندات الدول الإقليمية، لكن هذا الاقتراح لم يجد اذانا صاغية لانه ومع الأسف فان الصراع الطائفي لعب دوره وهو صراع شدد بارزاني باسف على انه يحتاج إلى وقت للتغلب عليه.

وعن موقف الكرد حاليا من الازمة العراقية المتفاقمة قال رئيس اقليم كردستان (نحن مع عراق واحد تعددي ديمقراطي فيدرالي وسنبذل كل جهدنا لمساعدة الآخرين للتخلص من هذه المشكلة، ونحن ضد التدخل الإقليمي والأجنبي لكننا نعرف أن انسحاب القوات الاميركية الآن سيعرضنا لأكبر كارثة في تاريخ العراق لأن الحرب الأهلية الطاحنة ستبدأ فور انسحابهم).

فقد كشف بارزاني انه طلب من جلالة الملك عبدالله الثاني ومن خادم الحرمين الشريفين مساعدة القوى المعتدلة بغض النظر إن كانت سنية أو شيعية أو كردية، ومساعدة الذين يقفون مع العراق والدستور والتعايش الأخوي و(طلبت منهما مفاتحة إيران بندية وابلاغهم بأننا لا نسمح لهم بالتدخل بالشأن العراقي أو مساعدة الشيعة ضد السنة، لا يجوز أن يقسم العراق بين شيعة مدعومين من إيران وسنة مدعومين من الدول العربية السنية، وهذا أخطر ما يكون).

ولم تتوقف محاولات الكرد عند الاتصال بالقوى الاقليمية لكنها تحركت داخل العراق لاكثر من مرة فقد كشف بارزاني عن دعوة (إخوتنا السنة إلى ٣ مؤتمرات هنا في كردستان وأبلغناهم أن العالم تغير وأن عليهم نسيان انهم فقط من يحكم العراق وابلغناهم اننا إذا شعرنا بأن الشيعة يسعون لتهميشكم فإننا سنقف معكم ضد ذلك، أنتم مدعوون لتكونوا شركاء معنا ومع الشيعة متوازنين ومتكافئين، كما أنني تحدثت مع الشيعة مؤكدا لهم أن إحساسهم بالظلم لا يجب أن يكون دافعا للانتقام أو الاستحواذ على حقوق الآخرين.

وقلنا للجميع إن علينا إن نعرف كيف نتمتع بحقوقنا وكيف نؤدي واجبنا تجاه وطننا، يجب أن يقبل كل منا الآخر، غير أن المؤسف أن المرض الطائفي كان قد أخذ مداه لكننا سنظل نأمل أن يكون هناك حل وسنظل نعمل مع كل الطيبين ولن نكون جزءا من المشكلة ولن نكون مع محور ضد آخر).

دون سؤال تبرع بارزاني للحديث عن مشكلة العلم العراقي غير المرفوع في الاقليم فقال انه اتهم بإصدار قرار بعدم رفع العلم العراقي، وللعلم فان العلم العراقي لم يكن مرفوعا، منذ عام ١٩٩١ وقد طلب مني صدام ٣ مرات أن نرفع العلم العراقي إلى جانب علم كردستان، لكنني أصررت دائما على ضرورة تبديل هذا العلم لأنه علم البعث بنجومه الثلاث (وحدة، حرية، اشتراكية) وبعد سقوط النظام، تقرر في مجلس الحكم والحكومة الانتقالية تبديل العلم، وكانت هناك عدة خيارات : العودة للعلم الملكي الذي كان يمثل العراق حقيقية بنجمتيه اللتين تشيران للقوميتين الرئيسيتين العرب والكرد والعودة لعلم الجمهورية الذي رفعه عبد الكريم قاسم وعلم جديد وقد جرى الاعلان عن مسابقة لاختيار علم جديد، لم يكن الموضوع كبير الأهمية بالنسبة لي مقارنة بنزيف الدم المتواصل في الجسد العراقي والذي كنت أرى في إيقافه أولوية لا يجوز تجاوزها، ولكن للاسف انه بعد ذلك قام رئيس الوزراء السابق السيد الجعفري وبقرار شخصي باستخدام عبارة (الله اكبر) التي كانت مكتوبة بخط صدام إلى الخط الكوفي وفلتت الأمور فالبعض يرفع العلم السابق والبعض يرفع أعلاما أخرى مرة بنجوم ومرة بدونها ومرة مع كلمة الله أكبر وأخرى بدونها ومعلوم ان السيد الجعفري لم يكن يملك صلاحية دستورية أو قانونية تسمح له بذلك.

ملاحظة، حتى إن ما كتبه صدام كان خطأ لغويا إذ وضع الهمزة على الألف في كلمة الله، وهذا غير صحيح.

اخيرا بالنسبة لهذا الموضوع شدد بارزاني ان العلم ليس لعبة ونحن هنا لا نرفع غير علم الإقليم، وللأحزاب أن ترفع أعلامها على مقراتها فقط، ويرفع علم جمهورية ١٤ تموز كعلم للعراق إلى أن يصدر مجلس النواب قرارا بشكل العلم الجديد، ليست هناك تعليمات بإنزال علم العراق الصدامي لأنه لم يكن مرفوعا أصلا.

واعاد التشديد على ان الحكومة الفدرالية خرقت الدستور، فهي من ناحية لديها قانون اجتثاث البعث وقد أعدمت رئيسه لكنها ترفع علم ذلك الحزب، هذا تناقض غير مفهوم. فالأخوة في بغداد يرفعون علما يمثل مبادىء الوحدة والحرية والاشتراكية بينما يلاحقون المؤمنين بهذه المبادئ ويقطعون أرزاقهم.

حين يتقرر شكل العلم سواء كان علم الجمهورية أو علم الملكية أو علما جديدا سنلتزم به، وإذا أردتم الاحتفاظ بعلم صدام فعليكم أن تشرحوا للناس معناه وماذا يمثل.

الزعيم بارزاني تحدث ايضا عن الاقليم الذي يرأسه وعن الفلسطينيين المطاردين من قبل الطائفية والارهاب في العراق قال انه تلقى طلبا من القيادة الفلسطينية يتضمن رغبتها بعدم اعادة توطين هؤلاء في كردستان مشيرا في هذا المجال الى ان الاقليم سيتقبل حاليا ١٨ الف عائله عربية عراقية فرت من جحيم الارهاب والحرب الطائفية التي شدد على ان الاهم في الوقت الراهن هو وقفها لكنه قال ان ذلك يحتاج لارادة قوية من القيادات الدينية والسياسية السنية والشيعية واستهجن قيام بعض رجال الدين بالتحريض على القتل والعنف مشيرا الى ان القيادات السنية تتهم شرطة بغداد بانها تضم الشيعة فقط وقال ان ذلك هو الوضع الطبيعي بعد ان اصدر عدد من الشيوخ السنة فتاوى تحرم الانضمام الى قوات الشرطة.

يتحدث بارزاني عن الاقليم لكنه سرعان ما يعود للحديث عن العراق ثم يعود ليقول ان حديقة سامي عبد الرحمن في وسط مدينة اربيل تضم جثثا لاكثر من خمسة الاف كردي دفنوا فيها ايام كانت معسكرا للامن العراقي.

وردا على ملاحظة تتعلق بغياب اللغة العربية عن شوارع الاقليم وشواهدها اكد ان مثل هذا الامر لم يلفت انتباهه وانه ليس مقصودا بالتاكيد ووعد بمعالجته سريعا.

وبامل يعلن بارزاني ان الوضع الراهن في العراق شاذ ولم يكن متوقعا ولابد له ان ينتهي ولو بعد حين لكن المهم في هذا الصدد هو توفر الارادة لوقف العنف مشددا ان الامر لايتعلق بتغيير الاشخاص فقط وانما في توافر تلك الارادة.

ونخرج من اللقاء مع الزعيم الكردي مسعود الرازاني باحساس ان القيادة الكوردستانية مصممة على بناء العراق الجديد وتلتزم بالدستور ومصممة على ان تقف الموقف المنسجم والمتناغم مع جميع الاحزاب والكيانات السياسية العراقية المخلصة وترى بأن اولويات عملها لتحقيق عراق فدرالي انما هي عمل وطني وواجب مقدس ينبغي أداؤه من غير ابطاء او تردد.

دعـونـا الاخـوة الـسـنـة لـيـكـونـوا شركـاء مع الـشـيـعـة والاكـراد